

مقاربة سيكوديناميكية لعوامل اللدونة لدى اطفال ضحايا طلاق - دراسة عيادية لطفلين متمدرسين  
A psychodynamic approach to the factors of resilience in children victims of divorce - a  
clinical study of two schoolchildren

بن سعيد زمعلاش لواري عبد القادر<sup>1</sup> ، حدبي محمد<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد بن احمد -وهران2 (الجزائر)، [bensaidzemallachlouari.abdelkader@univ-oran2.dz](mailto:bensaidzemallachlouari.abdelkader@univ-oran2.dz)

<sup>2</sup> جامعة محمد بن احمد -وهران2 (الجزائر)، [hadbi.m@yahoo.com](mailto:hadbi.m@yahoo.com)

تاريخ الاستلام: 2022/03/18 تاريخ القبول: 2022/03/22 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العوامل السيكودينامية لللدونة لدى أطفال ضحايا طلاق، وباستخدام المنهج العيادي المرتكز على دراسة الحالة. تمت الاستعانة بالملاحظة المباشرة والمقابلة النصف-موجهة إضافة إلى اختبار الروشاخ. بتطبيقها على العينة المتكونة من طفلين متمدرسين، سنهما 11 و12 سنة وقد تم التوصل إلى أن الطفل اللدن يتميز بدفاعية نفسية فعالة وبسعة في الفضاء التخيلي عكس الطفل الغير-لدن الذي يبين على دفاعية هشّة وعلى فضاء تخيلي ضيق، وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة الاهتمام بكل ما يسمح بإثراء الفضاء التخيلي للطفل وبتعزيز دفاعيته النفسية من خلال تدعيم ثقته بنفسه وتثمين تقديره لذاته.

كلمات مفتاحية: اللدونة، الطفل، الطلاق، الفضاء التخيلي، الدفاعية النفسية.

**Abstract:**

This research aims to study the psychodynamic factors of resilience in children victims of divorce, using a clinical approach based on a case study. Direct observation and semi-guided interview were used in addition to the Ruschach test. By applying it to the sample consisting of two school children, their ages are 11 and 12 years, it was concluded that the resilient child is characterized by effective psychological defense and capacity in the imaginary space, unlike the non-resilient child, which shows a fragile defense and a narrow imaginary space, and in light of these results it is suggested The study pays attention to everything that allows enriching the child's imaginative space and enhancing his psychological defense by strengthening his self-confidence and valuing his self-esteem.

**Keywords:** resilience , child , divorce , imaginary space , psychic defense.

المؤلف المرسل: بن سعيد زمعلاش لواري عبد القادر

1. مقدمة:

الصدمة النفسية، الانقطاع المفاجئ وغير المفسر للعلاقات، وفاة شخص عزيز، الطلاق غير المحضّر بالنسبة للطفل... إلى غير ذلك من الظروف يؤثر سلبا على حياة الطفل: عاطفيا، انفعاليا، سلوكيا، فكريا واجتماعيا. إلا انه وفي حالات عدة نجد اطفالا وفي ظروف قاسية يُظهرون أكثر ايجابية بتمكّنهم من التعامل مع هذه الظروف وتجاوزها، فهم بذلك أكثر مقاومة وأقدر على المواجهة والانتاج بالمعنى السيكلوجي والاجتماعي.

مصطلح اللدونة (Résilience) في ميدان علم النفس مصطلح مهم بالنسبة للباحثين، يشير إلى القدرة على المواجهة (Faire Face) والتغلب على الظروف الصعبة للحياة، فقد اجتهد كثير من الباحثين وبرزهم "B.Cyrulnik" في دراستها و

تحديد عواملها كظاهرة فردية وجماعية اذ منها العوامل الداخلية (النفسية) كالطبع و الخصائص الشخصية، العائلية كطبيعة الممارسات التربوية (pratiques éducatives) وطبيعة العلاقة الوالدية، والاجتماعية مثل مدى توفر السند الاجتماعي.

في هذا الإطار نسعى من خلال بحثنا بمقاربة سيكوديناميكية الى التركيز على دراسة العوامل السيكولوجية المساعدة لعملية اللدونة لدى اطفال من والدين (parents) مطلقين باعتبار ان الطلاق عامل ضاغط يؤثر على التوازن النفسي للطفل اشكالية البحث:

العائلة هي الأرضية الخصبة للنمو النفسي والاجتماعي لكل طفل إذ يعد توازنه من توازنها واضطرابه من اضطرابها، حيث تؤكد كثير من البحوث أنه لكل من الممارسات التربوية للوالدين (pratiques éducatives) والوظيفة الوالدية (fonction parentale) دور جد هام في توفير نموذج متوازن للطفل يسهل اندماجه اجتماعيا ويمنحه مناعة لمواجهة الظروف الصعبة للحياة اليومية.

الطفل السوي هو الطفل القادر على الإنتاج (الإيجابية) في جميع مجالات حياته (المدرسية، العاطفية، الاجتماعية)، لكن قد يضعف هذا الطفل أمام الظروف القاهرة التي تهدد توازنه النفسي وتجعله ينشط دفاعاته النفسية بغية الإستمرار. الطلاق واحد من الظروف أو التجارب الصادمة للطفل خاصة إذا لم يكن محضراً نفسياً، حادث يززع نفسية الطفل في العمق، لهذا وكما تؤكد غالبية الدراسات أن الطلاق لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعتبر حادثاً عادياً بالنسبة للطفل، قد يشك الطفل في نفسه وغيره ليصل به الحد الى أن يشعر بأنه منبوذ وقد يشعر أحيانا أنه السبب في تفكك الرابطة بين والديه.

تؤكد دراسات أجريت على مدى السنوات الثلاثين الأخيرة في ميدان علم النفس المرضي للنمو أن الأطفال أكثر حساسية للظروف الضاغطة كالعيش في بيئة غير صحية بالمعنى السيكولوجي وذلك بإظهارهم لمشاكل سلوكية وعاطفية ليأتي الطلاق كواحدة من هذه الظروف إذ تتباين تأثيراته النفسية على الطفل حسب السن (قلق، نرفزة، حساسية للإحباط، إكتئاب) والسلوكية (سرقة، هروب من المنزل، عدوانية...) إضافة إلى الصعوبات المدرسية او التحصيلية.

معروف إذا أن الطلاق عامل مهدد للصحة النفسية للطفل وواضحة تأثيراته على مختلف جوانب حياته إذ غالبا ما تكون سلبية ويكون التكفل بها صعبا، هذا وقد نجد الكثير من الأطفال أيضا يبدون إيجابية واضحة على المستوى السلوكي، الإنفعالي والنفسي عقب طلاق أبويهم فيتكيفون بسرعة مع الوضع الجديد رغم غياب أحد الوالدين فنجدهم يحافظون على نفس المستوى التكيفي بل أحيانا يكون ملاحظا وبصفة جلية بروزهم في مجال أو أكثر من مجالات الحياة.

إنها اللدونة (la résilience)، يعرف هذا المصطلح في ميدان علم النفس بأنه القدرة على مقاومة الصدمات والمواصلة بصفة طبيعية في مواجهة المحن. حسب James Anthony ” و” Michel Rutter“ هناك فرق إذن في استجابة الأطفال اللدنين للظروف المحيطية خاصة الصعبة منها إذ يظهرون لدونة مقارنة بأطفال يظهر ضعفهم و فشلهم في ظروف مماثلة (Cyrulnik & Duval, 2006, p. 7).

هناك بالضرورة عوامل تساعد الطفل على أن يكون لدنا (résilient) كما تؤكد عدة بحوث ودراسات: فهناك عوامل داخلية نفسية (الطبع، الخصائص الشخصية، العامل المعرفي للطفل...)، وأخرى خارجية عائلية كطبيعة العلاقة الوالدية والممارسات التربوية السائدة، واجتماعية (وجود سند اجتماعي، الانتماء الى جماعة الأقران).

## مقاربة سيكوديناميكية لعوامل اللدونة لدى اطفال ضحايا طلاق - دراسة عيادية لطفلين متمدرسين

الإشكال المراد معالجته في بحثنا لا يتعلق بالآليات التي سمحت بأن يكون أطفال ما لذين دون آخرين و لا يتعلق بمدى أهمية عوامل دون أخرى وإنما تركيزنا سيكون على دراسة العوامل النفسية العميقة (intrapsychiques) في تغذية اللدونة كسيرورة لهذا نجد انفسنا مضطرين للإجابة عن التساؤل حول النقاط التالية:

- هل يلجأ الأطفال اللدنون وغير اللذين إلي نفس درجة التنوع للآليات الدفاعية ؟

- هل يتمتع الأطفال اللدنون (résilients) وغير اللذين بنفس سعة الخيال (étendue de l'imaginaire) ؟

تركيزنا على دراسة العوامل النفسية العميقة لللدونة لدى أطفال متمدرسين من آباء مطلقين (parents divorcés) ليس تجاهلا لدور وأهمية العوامل العائلية والإجتماعية وإنما إدراكا منا أن العامل النفسي يكون دائما على المحك مع العوامل الخارجية المتنوعة.

فرضيات بحثنا نصوغها كالتالي، كإجابة عن الأسئلة المطروحة أعلاه.

1-يلجأ الطفل اللدن إلى دفاعية مرنة تتيح سهولة في التكيف مع الواقع، عكس الطفل الغير لدن الذي يبين عن دفاعية محدودة وأكثر صلابة.

2-يتمتع الطفل اللدن بغنى الفضاء التخيلي على عكس الطفل الغير لدن الذي يعاني فقرا في الفضاء التخيلي.

التعريفات الإجرائية بمصطلحات البحث:

اللدونة: هي ظاهرة أو سيرورة نفسية تتمثل في القدرة على مواجهة الوضعيات الصعبة او الضاغطة. في بحثنا نقصد بها قدرة الطفل على المواصلة بصفة طبيعية بعد طلاق والديه فيما يتعلق بتعلمه ومتابعة دراسته دون ظهور أعراض مرضية على المستوى السلوكي العقلي والسوماتي.

الطلاق: نقصد به فك الرابطة الشرعية بين الوالدين بعدما كانت تجمعهما علاقة لسنوات أثمرت طفلا على الأقل. إذ يمكن لفك هذه الرابطة أن تكون بإقدام من أحد الوالدين (طلاق أو خلع).

عوامل الحماية: نقصد بها العوامل النفسية، العائلية والاجتماعية المساعدة للطفل على سيرورة اللدونة.

عوامل الخطر (الهشاشة): هي العوامل النفسية، العائلية والإجتماعية التي تعمل على إضعاف وإعاقة سيرورة اللدونة لدى الطفل.

الفضاء التخيلي: ونقصد به سعة الخيال لدى الطفل، الأمر الذي يمكنه من إيجاد حلول لمشاكله والقدرة على تأويل مختلف الوضعيات الصعبة ايجابيا.

الميكانيزمات الدفاعية: وهي الميكانيزمات الدفاعية كما هي معرفة لدى مدرسة التحليل النفسي، ميكانيزمات تسمح بتكيف الأنا وتخفيف التوتّر أثناء الوضعيات المهدّدة.

وصف عينة البحث:

لفحص فرضيتنا ارتأينا القيام بدراسة مقارنة لطفلين متمدرستين دون إعطاء أهمية للجنس. يعتبر الطفل الأول

(12 سنة، ذكر) طفلا لدنا (enfant résilient) ، بينما يعتبر الطفل الثاني (11 سنة، انثى) طفلا غير لدن (enfant non

résilient) وذلك استنادا الى مقاييس تشخيصية سنذكرها لاحقا.

اخذنا من الطلاق عامل خطر (facteur de risque) بالنسبة لكلا الطفلين لتبين على إثره مدى لدونة الطفل

ضحية الطلاق، إذ سنعمد الى العمل على عينة قوامها طفلين متمدرسين يتراوح سنهما ما بين 06 و 12 سنة وذلك باعتبار

ان هذه المرحلة هي مرحلة هدوء نسبي بالنسبة للطفل تتطور خلالها دفاعاته النفسية و يكون قادرا على التسامي و اكثر

إقبالاً على التعلم حسب نظرية التحليل النفسي (Michel , 2013, p. 66). أردنا ان يكون أفراد عينتنا من الأطفال دون المراهقين وذلك باعتبار ان أزمة المراهقة كونية و يتعرض لها جميع الاشخاص حيث تختلف ردود فعلهم حينها فمنهم من يتخذ من التسامي ميكانزما مميزا وتمر مرحلة المراهقة بصفة هادئة و منهم من يطلق العنان لحياته الجنسية بالمعنى التحليلي، و عليه كان استبعادنا لمرحلة المراهقة على انها ظرف ضاغط و انما كان هدف بحثنا دراسة عوامل اللدونة لدى اطفال ضحايا الطلاق كعامل ضاغط.

لا يهم مع من يعيش الطفل ضحية الطلاق، المهم أن يكون مع أحد والديه سواء ضمن العائلة النوواة (التي تفتقر لاحد البوين طبعا) أو المركبة، على أن يكون المستوى الإقتصادي متقاربا (متوسطا على الغالب) سعيا منا لعزل تأثير هذا العامل على خطة وهدف البحث.

سركز في اختيار عينة البحث على مقياسين مهمين حسب "Claude De Tychey" و "Joelle Lighezzolo" (2004) أولهما التكيف مع الواقع الخارجي أو المحيط والآخر يتطلب توظيفا نفسيا يسمح بتكيف الأنا و يترجم بغياب التظاهرات (الأعراض) الجسدية، السلوكية والعقلية. إستنادا الى هذين المقياسين سنأخذ من القدرة على متابعة الدّراسة بمستوى يُضاهي مستوى الأقران من نفس السنّ على ألا ينكص هذا المستوى مقارنةً بما كان عليه قبل الطلاق، والسّلامة من الأعراض المرضيّة (نفسيا، سلوكيا وجسديا) كمعيارين أساسيين محددين للّدونة.

المعايير المعتمدة لتشخيص اللّدونة:

بالنسبة للطفلين:

- حدوث الطّلاق في المرحلة العمريّة للطفّل الممتدّة ما بين 06 و 12 سنة.
- غياب مشاكل نفسيّة أو جسديّة خطيرة قبل الطّلاق وذلك استبعادا لتدخّل عوامل أخرى غير الطّلاق.
- سلامة الطّفّل فكريًا (intellectuellement) وعدم معاناته من التّخلف العقليّ.

بالنسبة للطفّل اللّدن:

- القدرة على متابعة الدّراسة بصفة طبيعيّة مثلما هو الحال بالنسبة للأقران من نفس العمر دون أن يسجّل نكوصٌ في المستوى الدّراسي (التّحصيل).

- السّلامة من الأعراض المرضيّة الجسديّة، العقليّة والسلوكيّة.

بالنسبة للطفّل الغير لدن:

- إظهار صعوبة في التعلّم ومتابعة الدّراسة بعد الطّلاق (صعوبة في التّحصيل الدّراسي)

و/او

- ظهور أعراض مرضيّة جسديّة، سلوكيّة وعقليّة.

منهجية البحث:

منهج البحث ووسائله:

إنتهجنا المنهج العيادي في بحثنا المعتمد على دراسة الحالة دراسةً فرديّةً استعانة بدراسة مقارنة بين طفلين من اطفال ضحايا طلاق. لا نزعم أفضلية لهذا المنهج في مقابل المنهج الكمي على الرغم من تكاملهما، ولئن اتّخذنا من دراسة الحالة طريقةً في بحثنا لاستقاء المعطيات وفحصها مدعّمة باختبارات نفسيّة فإنّ ذلك خدمةً لأهداف البحث المتمثلة في فحص مختلف العوامل المتدخّلة في اللّدونة كسيرورة لدى أفراد العينة.

## مقاربة سيكوديناميكية لعوامل اللدونة لدى اطفال ضحايا طلاق - دراسة عيادية لطفلين متمدرسين

كأدوات للبحث سننعمد على المقابلة النصف موجهة كأداة أساسية إضافة للملاحظة المباشرة وإلى اختبار الروشاخ وذلك لفحص الفرضية الأولى والثانية استنادا الى علامات (indicateurs) محددة.

أهمية البحث:

كبحث أكاديمي نعالج من خلاله مفهوم اللدونة وعواملها النفسية لدى اطفال من آباء مطلّقين، يرجع اختيارنا لهذا الموضوع لأهمية النقاط التالية:

- حساسية موضوع الطلاق وتأثيراته على التوازن النفسي والإجتماعي للأطفال.
  - أهمية اللدونة كسيرورة و كعملية تفاعلية في تحقيق التوازن النفسي والتكيف الإجتماعي.
  - تكمن أهمية البحث في كونه يعالج موضوعا يجمع بين الطلاق كظاهرة ذات تأثير سلبي على الأطفال و اللدونة كسيرورة تهدف لتجاوز هذه التأثيرات بمحاولة تسليط الضوء على حيّز مهم من العوامل (العوامل النفسية).
- أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- دراسة العوامل المساعدة في عملية اللدونة لدى اطفال ضحايا طلاق بالدرجة الأولى.
  - تبين أهمية هذه العوامل الدينامية إن تحققت فرضيات البحث كعوامل حماية.
  - إثراء وتدعيم سجل الأبحاث السيكولوجية الخاصة بالأطفال.
- نأمل أن تؤخذ نتائج هذا البحث وتوصياته بعين الإعتبار في برامج الجمعيات والهيئات ذات صلة بحماية وتطوير صحة الطفل.

### دوافع اختيار الموضوع:

نسمع كثيرا على أنّ الطلاق يؤثر سلبا على التوازن النفسي للطفل، هذا علما أنّه لديّ قريبة مطلقة تعيش بمعية العائلة الكبيرة رفقة ابنها الوحيد وعلى العكس مما هو شائع بخصوص الطلاق وتأثيراته التي لا تكاد تنحصر إلا في الجانب السلبي وجدت ابنها يبرع في أنشطة وممارسات كالرياضة، العلاقات الإجتماعية وكيفية تكوين هذه العلاقات، الأمر الذي حزّ في نفسي كطالب باحث الإفتراض بأن لللدونة دور في ذلك. هذا ويبقى اقوى دافع هو الإهتمام الشّخصي بموضوع كهذا.

### 3-اللدونة:

**3-1 تعريف اللدونة:** بالفرنسية (résilience)؛ مشتقة من اللاتينية "salire" و "re" تباعا ومفادهما (القفز) و(حركة للوراء) اي بمعنى القيام بحركة للوراء من اجل القفز والاندفاع .

استعمل المصطلح في القرن الثامن عشر في إنجلترا للدلالة على ردة فعل لصدمة ما؛ امتد استعماله للولايات المتحدة الأمريكية للدلالة على مجموعة من الخصائص المتعلقة بالمرونة و بجودة المزاج ؛ استعمل في فرنسا من خلال مصطلحين، أولهما (المقاومة – résistance) للدلالة على القدرة على الحفاظ على الإستقامة ، وثانيهما (اللدونة – résilience) للدلالة على القدرة على الإستخدام الفوري لدفاعية فعالة مواجهة للتوتر. يستخدم المصطلح حاليا على نطاق واسع للدلالة على الجمع بين المفهومين السابقين الذكر (Rigaud, 2011, p. 3)

### 5-عرض النتائج

1-5 الحالة الأولى : (م.م - 12 سنة)

1-1-5 سيكوغرام الحالة الأولى: المدة الزمنية الإجمالية: 8 دقائق

جدول 1 - سيكوغرام الحالة الأولى

نمط الإدراك	المحدّدات	المحتوى	المعادلات
G=5 D=19 Ddbl=1  G%=20 % D%=76 % Ddbl%=4%	F+=11      F- =5      FC'=1 FC=1    F+% =65%      F%=68% C=3              Kan=1              Kan C- =1      KC'=1      Kp=1	H=1 Hd=2 H%=16% A=6 Ad=1 A%=28% Abstr=2 Anat=4 BOT=1 GEO=1 OBJ=3 SANG=1 SEX=1 VET=1 BAN=5	TRI = 1/ 5.5 FS= 3 $\sum K / 0 \sum E$ RC%= 56% IA%= 32% Ban%=20%

2-1-5 قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الأولى:

اظهر الحالة (م.م) تعاوننا خلال تمرير الإختبار، إذ كان يأخذ كل وقته للاستجابة للوحات بعفوية تامّة. أظهر الحالة ايضاً رغبة في التّجاوب مع كلّ لوحات البروتوكول وهذا ما يؤكّد غياب المؤشّرات الدّالة على الكفّ خلال مواجهة هذه اللّوحات.

من خلال القراءة العامّة لبروتوكول الرّوشاخ للحالة (م.م)، نلاحظ سيطرة المقاربة الجزئيّة بشكل واضح، مرفوقة في معظمها بمحدّدات شكلية ذات نوعية جيدة (bonne qualité)، كما توضّح التّراء و التّنوع في نوع المحدّدات ، ظهرت من خلال الإستجابات الحركيّة و اللّونيّة . يُميّز هذا البروتوكول تواجد استجابات حيوانيّة.

توضّح المقاربة الجزئيّة في مجملها مراقبة إدراكية ناجحة في معظمها (DF+A , DF+obj , DKc' ) في اللّوحات (10,8,3,6,5) ، إذ يعتبر ذلك مؤشّراً على أنا قوي بكفاية قادر على مواجهة الواقع الخارجي (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 145)

أما فيما يخصّ المحدّدات الشّكلية التي ظهرت في هذا البروتوكول ، فإنها تشير في مجملها إلى الإتّصال مع الواقع في بعده التّكيّفي الإيجابي (الحكم و استعمال الانتباه) (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 151) ، حيث أن هذه الأخيرة تترجم الإندماج الإجمالي (insertion socialisante) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 154) وهذا ما يؤكّد فعاليّة المراقبة .

ظهور الإستجابات الحيوانيّة في بروتوكول الحالة (م.م) بنسبة تقارب 28% إذ أنتت معظمها مرفوقة باستجابات شائعة (F+ , vet , ban) كدلالة على القدرة على التّكيّف مع العالم الخارجي حسب نوعيّة هذه الإستجابات (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 168)

يلاحظ غياب المؤشّرات الدّالة على الصّدمة اتّجاه الإختبار (Richelle, 2009, pp. 42-43)

### مقاربة سيكوديناميكية لعوامل اللدونة لدى اطفال ضحايا طلاق - دراسة عيادية لطفلين متمدرسين

جاءت الإستجابات الجزئية غالبية في البروتوكول بنسبة تعادل 76% مرفوقة باستجابات متنوعة ، ظهرت تقريبا في كل لوحات الروشاخ على النحو التالي (..... ,DKc' ,DF+ ,DFc'). فهي تشير في مجملها إلى مقاربة متكيفة ( perspective de socialisation ) ( Richelle, 2009, p. 59)

أما فيما يتعلق بالإستجابات اللونية ، فإنها تشير إلى كيفية تسيير العاطفة (كل ما يتعلق بالعواطف و الإنفعالات ، إحساس باللذة.....الخ)، وحسب نوعيتها في هذا البروتوكول فإنها تشير إلى حياة إنفعالية و عاطفية متكيفة إجتماعيا (Richelle, 2009, p. 67)

كما تدل المقاربة الجزئية على محاولة التكيف (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 146) يتميز البروتوكول بغياب مؤشرات الصدمة أمام واقع اللوحات ، حيث لم يسجل أي ظهور لآلية الكف ، تواجد مردودية فكرية ثرية شملت 25 استجابة ، ظهرت خلالها استجابات إنسانية قدرت بنسبة مئوية (16% = H) كدلالة على القدرة على تمص صور الجسد الانسانية و هي مؤشر على الاجتماعية ، وظهرت في اللوحة (3) ، (5) ، (8) ، (10) و التي بلغ عددها خمسة استجابات وتشير الى تكيف اجتماعي (Chabert, 2018, p. 83)

من خلال نمط أو نوعية الإستجابات الحيوانية فإنها تظهر ذات نمط تكيفي خاصة اللوحات (Chabert, 2018, p. 81)(10,6,5,1)

كما يتميز البروتوكول بمقاربة شكلية ذات نوعية جيدة ظهرت من خلال اللوحات (1,3,5,6,8,9,10) ، و هذا ما يترجم الطابع التكيفي ويشير إلى الميل نحو الإجتماعية (Chabert, 2018, p. 82) وقدرة الشخص على وضع حدود ما بين الحياة الداخلية و الواقع (Chabert, 2018, p. 72)

بالرجوع للجدول 1 (أعلاه)، نرى مؤشرات يتضح من خلال نسبها الإجمالية في البروتوكول أن الحالة متمكن بدرجة عادية من استغلال موارده المعرفية (الذكاء).

(G=5) درجة منخفضة ، (F+% =65) درجة تجاوز الدرجة المعيارية مع ارتفاع بدرجة واحدة فقط ، (A%=28) درجة منخفضة ، (K=1) درجة متوسطة تجاوز المعيارية.

نمط إدراك متنوع إلى درجة ما كما نلاحظ من خلال البروتوكول تتابع منتظم لنمط الإدراك يظهر في غالب اللوحات بظهور استجابات تبدأ ب (G) و تنتهي ب (D) .

إجتماع هذه المؤشرات يعبر عن أداء فكري (معرفي) عادي يتيح للحالة تموقعا نفسيا و علائقيا في استثماره للواقع .

### 3-1-5 فحص الفرضية الأولى: الفرضية المتعلقة بالدفاعية النفسية

#### جدول 2: القيم المتحصّل عليها و القيم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية

المؤشر	المجموع	القيمة المعيارية
F%	68	69
A%	28	53
BAN	5	3.6
F+%	65	64
D%	76	33
H%	16	13

فرضية تتعلق بالدفاعية النفسية، نلاحظ من خلال الدرجات المتحصّل عليها (F%=68) تجاوز الدرجة المعيارية ، (F+%=65)تجاوز الدرجة المعيارية مع فارق زيادة ضئيل جدًا ،(A%=28) درجة منخفضة مقارنة بالدرجة المعيارية (%53)، (BAN=5) يقارب الدرجة المعيارية.(D%=76) درجة تفوق الدرجة المعيارية بأكثر من الضعف ، (H%=16) قريب جدًا من الدرجة المعيارية هو الآخر.

بالرجوع لجدول القيم المعيارية الخاصة بالدفاعية النفسية لدى الأطفال الذكور (10-12 سنة) ، (Jacqueline , Pierre , Lisa , & Marc , 2009, p. 77) يمكننا استخلاص أنّ مجموع هذه المؤشرات يُعبّر عن تكيف إيجابي للحالة مع الواقع.

#### 4-1-5 فحص الفرضية الثانية: المتعلقة بسعة الفضاء التخيلي

جدول 3: الدرجات المعيارية والدرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشرات سعة الفضاء التخيلي

المؤشر	المجموع	القيمة المعيارية
R	25	21
F%	68	69
A%	28	53
K	1	1.1
K+k	4	3.4
TRI	1/2.5 extratensif	

مجموع هذه المؤشرات وبالرجوع لجدول القيم المعيارية لمؤشرات الروشاخ فيما يخص سعة الفضاء التخيلي (Amandine, 2006, p. 108) يُبين عن سعة الفضاء التخيلي للحالة، على الرغم من حصوله على (A%=28) وهي درجة تعتبر منخفضة كإشارة على عدم الخضوع أو الإلتزام (non conformisme) مع القدرة على الاقبال أو التعامل مع الواقع بطريقة خاصة (appréhension du monde d'une façon originale).

#### 2-5 الحالة الثانية (م.ن-11 سنة)

#### 1-2-5 سيكوغرام الحالة الثانية: المدة الزمنية الإجمالية: 5 دقائق

جدول 4 - سيكوغرام الحالة الثانية

نمط الإدراك	المحدّات	المحتوى	المعادلات
G=6D=8 Ddbl=1	F+=2 F- =2F+% =50F%=27	H=1 (H)=2 H%=20 A=4 (A)=1 A%=33 Abstr=1 BOT=3 OBJ=2 SANG=1 BAN=4 FRAG=1	TRI = 2/ 5 FS=5/2 Ban%=27 IA% = 7 RC%=40
G%=40D%=53Dbl%=6	K=2Kan=3Kobj=2 CF=2 EF=1		

### 3-2-5 قراءة عامة للبروتوكول:

يترجم بروتوكول الحالة فقرا في الهومات، سواءا خلال تمرير الإختبار أو في مرحلة الإستقصاء حيث لا توجد أية إجابات إضافية خلال هذه المرحلة (الإستقصاء).

التعبير العاطفي ظهر من خلال الإستجابات اللونية على النحو الآتي D C SANG /D CF+BOT /D CF+ Abstr الحالة والتي تترجم تسيير كل ما يتعلق بالإنفعالات و العواطف و هي غير متكيفة (mal adapté) واندفاعية دون مراقبة. اللوحة (3) عموما تشير إلى الحياة العاطفية و الانفعالية (Richelle, 2009, p. 66)

ظهور الإستجابات الحيوانية في البروتوكول في اللوحات (6,8,9) يشير إلى سيرورات نكوصية لدى الحالة، أما الإستجابات الحركية من نوع Kobz فقد ظهرت في اللوحات (6,10) فإنها تترجم الحركات التزوية العدوانية أو شحنة عاطفية عدوانية (بابور يتمشى في وسط البحر..... طردق ، العاب نارية.....) وتترجم رغبات صعبة التحقيق (Richelle, 2009, p. 67)

يترجم بروتوكول الحالة صعوبة في استثمار العلاقة مع الآخر وهذا للتذرة الشديدة في الإستجابات الإنسانية (Richelle, 2009, p. 71)، صعوبة في الإستناد إلى الصور الإنسانية (Richelle, 2009, p. 72)

يتميز بروتوكول الحالة بسيطرة المقاربة الجزئية والتي جاءت مصحوبة بمحددات متنوعة، منها المقاربة الشكلية ذات النوعية السلبية، خاصة في اللوحات (2,3,10) والتي تدل على فشل آلية الإزاحة ومحاولة التحكم في مادة الإختبار. يترجم ذلك إذا فشل المراقبة الإدراكية من خلال اللوحة (2) حيث ظهرت استجابة (Dbl F- A)، واللوحة (3) (choc).

تشير الإستجابات الكلية إلى تكيفية قاعدية مع الواقع (adaptation de base à la réalité objective) وعلى مستوى النشاط الدفاعي فإنها تشير إلى آليات دفاعية خاصة حسب نوع المحدد المرتبط بها، فمن خلال البروتوكول نلاحظ أن الإستجابات الكلية قد ظهرت من نوع كلية منظمة (G Organisé)، وهذا ترجمة لعزل العواطف ببذل جهد للتحكم في مادة الإختبار بالرجوع إلى العقلنة بحركات أكثر إبداعية، وهذا فقط في اللوحات (10,6,5,4) (Chabert, 2018, p. 69) يتميز بروتوكول الحالة (م.ن) بما يلي:

- نذرة الإستجابات الإنسانية.

- نذرة الإستجابات الحيوانية.

- وجود استجابات لونية على شكل CF.

- وجود مقارنة شكلية سلبية في اللوحات (2,5,10) مع المقاربة الجزئية.

فيما يتعلق بالتعبير التزوي العدوانى ، ظهر في اللوحات (6,9,10) إذ يترجم ذلك الخوف أمام العالم الخارجي (Richelle, 2009, p. 116)، تترجم الإستجابات اللونية فشل المراقبة ،التعبير التزوي وهذا من خلال اللوحة (3) و اللوحة (8) أمام شدة الهومات أو التصورات التي أثارها هذه اللوحات (Richelle, 2009, p. 107) خاصة أمام اللوحة (3) حيث أثار الإستهامات القلق و الصدمة و فشل آلية المراقبة.

ظهور الإستجابات في اللوحات (2,7,9) على شكل تردد في الإستجابة (Dbl) (أوراق متساقطة على الطريق) حسب نوعية الإستجابة أو التعبير التزوي العدوانى تترجم إشكالية في معاش الحالة مواجهة للصورة الأنتوية الأمومية ، إضافة إلى إشكالية في استيعاب الأنوثة و التقمص الجنسي (Richelle, 2009, p. 101).

ظهور الإستجابات من نوع (Dbl) في البروتوكول تشير إلى المعارضة و هي مرفوقة بمقاربة شكلية ذات نوعية سلبية، ظهرت في اللوحة (2).

ظهور الإستجابات الجزئية بدأ من اللوحة الثانية (2) ثم في اللوحة (3) لتظهر الإستجابات الكلية بعدها في اللوحات (4,5,6)، ثم عودة ظهور الإستجابات الجزئية (7). أول ظهور للإستجابات الكلية كان في اللوحة (1) كاستجابة كلية بسيطة تترجم محاولة التكيف (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 140). عندما ترفق الإستجابات الجزئية بمحدّدات شكلية سلبية فإنها تترجم محاولات التّحكّم الإدراكي و فشله ، وفي هذه الوضعية تشير إلى التعبير الإسقاطي و فقدانها لدلالاتها التّكيفية و الإجتماعية. (DC , DF-) يمكنها الدلالة إما إلى انحراف مؤقت بسبب حدّة الهوامات أو فقدان التّواصل مع الواقع (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 146)

بينما ظهرت استجابة جزئية في اللوحة (7) كترجمة لعاطفة اكتئابية (أوراق متساقطة على الطريق...). تشير الإستجابات الجزئية عموماً إلى معنى تكيفي و اجتماعي غير أنّها في هذا البروتوكول جاءت لتدلّ على آلية الإزاحة و التّجنب و التي فشلت أمام واقع اللوحات (3,8,10) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, pp. 143-144).

كقراءة عامّة للبروتوكول ، يمكننا القول ب فشل آلية التّحكّم الإدراكي وهذا لشدة الحركات الإسقاطية و التي أدت إلى اضطراب آلية التّحكّم (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 146) إذ أخذ المحتوى العدواني حيّزاً معتبراً وذلك من خلال اللوحات (6,10) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 171) رجوعاً للجدول 4 (اعلاه) مؤشرات يتّضح من خلال نسبها الإجمالية في البروتوكول أنّ الحالة متمكنة بدرجة متواضعة من استغلال مواردها المعرفية (الذكاء).

(G=6) درجة متوسطة، (F+% =50) درجة منخفضة نوعاً ما، (A% =33) درجة منخفضة، (K=2) درجة متوسطة تجاور الدرجة المعيارية.

نمط إدراك بسيط متأرجح بين D و G مع ظهور استجابة واحدة (Dbl) و اخرى (Gbl) كإشارة لافتقار نمط الإدراك للتّنوع.

غياب التتابع المنتظم لنمط الإدراك (غياب التتابع المنتظم من G الى Dd) بظهور استجابات متناوبة بين D و G. مجموع هذه المؤشرات يدلّ على مستوى عقلي أو معرفي متواضع يبعد عن الإضطراب من جهة وعن التميّز من جهة أخرى وبالتالي فإنه من الممكن القول بأن مستوى الذكاء العام للحالة يسمح لها باستثمار الواقع.

#### 4-2-5 فحص الفرضية الأولى: الفرضية المتعلقة بالدفاعية التفسرية

جدول 5- القيم المتحصل عليها والقيم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية

المؤشر	المجموع	القيمة المعيارية
F%	27	67
A%	33	58
BAN	4	4
F+%	50	69
D%	53	43
H%	20	13

فرضية تتعلق بالدفاعية النفسية، نلاحظ من خلال الدرجات المتحصّل عليها ( $F\%=27$ ) منخفضة كثيرا عن الدرجة المعيارية، ( $F+\%=50$ ) تنخفض بدرجة محسوسة عن الدرجة المعيارية، ( $A\%=33$ ) ينخفض عن الدرجة المعيارية، ( $BAN=3,6$ ) يجاور الدرجة المعيارية، ( $D\%=53$ ) درجة مرتفعة عن الدرجة المعيارية. ( $H\%=20$ ) ترتفع بقليل عن الدرجة المعيارية.

مجموع هذه المؤشرات يعبر عن صعوبة في تكيف الحالة مع الواقع.

#### 4-2-5 فحص الفرضية الثانية: الفرضية المتعلقة بسعة الفضاء التخيلي

جدول 6: الدرجات المعيارية و الدرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشرات سعة الفضاء التخيلي

المؤشر	المجموع	القيمة المعيارية
R	15	20
F%	27	67
A%	33	58
K	2	0,7
K+k	7	2,4
TRI	2/5 extratensif	

مجموع هذه المؤشرات يبين عن فقر في الفضاء التخيلي للحالة، فكلّ الدرجات تنخفض بوضوح عن الدرجات

المعيارية ماعدا درجة المحدّد k الذي جاور الدرجة المعيارية.

الخاتمة:

انصبّ اهتمامنا من خلال هذا العمل على دراسة العلاقة بين الدفاعية النفسية و اللدونة من جهة، وبين سعة الفضاء التخيلي و اللدونة من جهة أخرى، تبين بعد فحص الفرضيتين أنّ لدونة الطفل مرتبطة بدفاعية سلسلة متنوعة و بفضاء تخيلي غنيّ ذو سعة يتيح للطفل التعامل العقليّ (الرمزي) مع ظروف الحياة الشديدة و صدماتها. وفي المقابل وجدنا أنّ الطفل يبتعد عن اللدونة كلّما تصلبت دفاعيته و كلّما وجد فضاءه التخيلي فقرا في السعة و لونسبياً.

تحريّنا الدقّة قدر المستطاع لتشخيص اللدونة عند افراد العينة، لكن وبالرغم من ذلك فإننا لا نستطيع الجزم بإمكانية تعميم النتائج المتوصل إليها من جهة، كما أنّنا من جهة أخرى لا ننتقص من أهمية هذه النتائج التي يمكنها أن تؤخذ بعين الإعتبار وفي ظروف مماثلة مع عينات مشابهة و متناسقة مع عينة بحثنا، يرجع هذا الإحتراز بالطبع لطبيعة البحوث الكيفية التي تركز على العمق لا على الوصف.

في اختيارنا لأفراد العينة، حرصنا على أن تكون العينة متجانسة من حيث السنّ، المستوى العقليّ (الدكاء)، المستوى الدراسي استنادا إلى العلامات و المعدّلات المتحصّل عليها سابقا من قبل أفراد العينة، إضافة إلى المستوى الإقتصادي و نمط الحياة العامّ لأسرة الطفل (أب، أمّ، أو أيّ أطراف متكفّلة بالإنفاق على الطفل بعد الطلاق)، وهذا لنتمكّن من حصر متغيّرات البحث بغية التّحكّم فيها.

تجدد الإشارة إلى أنّ تقييم المستوى العقليّ العامّ لم نعتد فيه على اختبارات تقييم الذكاء و إنّما كان ذلك استنادا لتأكيدات الأولياء و المعلمين، إضافة إلى المستوى العامّ من خلال الملاحظة المباشرة أثناء المقابلات، إذ يمكن القول أنّ مستوى ذكاء أفراد العينة يعتبر عادياً أي بعيدا عن الضّعف و الإضطراب، الأمر الذي تأكّد أيضا من خلال اختبار الروشاخ.

إضافة لما سبق و كانتقاد نراه بناءا لبحثنا ارتأينا أن نطرح التساؤل التالي: رغم تجانس العينة، ألا يمكن أن يكون لعامل الجنس (النوع) تأثير مباشر أو غير مباشر في سيرورة اللدونة؟ لم يكن بوسعنا التحقق من هذا الإشكال التزاما بتوجه البحث وأهدافه المحددة، لذا فإننا نرى أنه من الأجدي أن يكون ذلك ضمن آفاق هذا البحث.

درس موضوع اللدونة عند الأطفال وتقاربت النتائج على اختلاف التوجهات، فمنها ما ركزت على العوامل والأسباب، ومنها ما ركزت على الآليات، ومنها ما ركزت على طرق وتقنيات التكفل بالأطفال في حالة خطر تقديمها للدعم وربحا للجهد والوقت.

في بحثنا هذا ركزنا على عاملين سيكوديناميين فقط ليس تناسيا أو تجاهلا منّا لعوامل أخرى مهمة وإنما إدراكا منّا أن الموضوع متشعب، عميق وأعمق من أن يجمع بين كلّ العوامل في بحث واحد، يُعدُّ هذا أيضا من الدواعي لتوسيع زاوية البحث في موضوع اللدونة لدى الأطفال مهما كانت صعوباتهم الوجودية.

- Amandine, T. (2006). *Approche psychodynamique de la résilience*. France: Université de Nancy 2.
- Anaut, M. (2003). *la résilience: surmonter les traumatismes*. Paris: NATHAN.
- Anaut, M. (2015). La résilience : évolution des conceptions théoriques et des applications cliniques. *Recherche en soins infirmiers*, 121(2), pp. 28-39.
- Azoulay, C., Chabert, C., Benoît, V., & Estelle, L. (2020). *Manuel du Rorschach et du TAT: interprétation psychanalytique*. Dunod.
- Catherine, T.-A. (2014). *Neuropsychologie et art: Théories et applications cliniques*. De Boeck Supérieur.
- Chabert, C. (2018). *psychanalyse et méthodes projectives*. Dunod.
- Cyrulnik, B. (2006). *De chair et d'âme*. FRANCE: Odile Jacob.
- De Tychey, C. (2001). Surmonter l'adversité : les fondements dynamiques de la résilience. *Cahiers de psychologie clinique*, 16(1), pp. 49-68.
- Ionescu, S., & Colette, J. (2006). *Psychopathologies et société: traumatismes, événements et situations de vie*. Vuibert.
- Jacqueline , R., Pierre , D., Lisa , D., & Marc , M. ( 2009). *Manuel du Test de Rorschach: Approche formelle et psychodynamique*. De Boeck Supérieur.
- Louis, R. (2019, SEPTEMBRE 4). activation de la résilience chez des enfants placés du point de vue des professionnels des services de protection de l'enfance de l'ontario, canada. *Carnet de notes sur les maltraitances infantiles*, pp. 27-50. Récupéré sur cairn.info: <https://doi.org/10.3917/cnmi.192.0027>
- Michel , D. (2013). *Psychopathologie: Manuel à l'usage du médecin et du psychothérapeute*. Paris: De Boeck Supérieur.
- Moussa, F. (2010). *psychothérapies , pathologies limites et résilience: données récentes et évaluation*. ALGERIE: CASBAH.
- Richelle, J. (2009). *manuel du test de rorschach*. Bruxelles: De Boeck.
- Rigaud, E. (2011, Septembre). *Résilience et management de la sécurité : pistes pour l'innovation en sécurité industrielle*. Toulouse: FonCSI.